بحث فريضة الصيام وكفارته من منظور قرآني

سامح جبر حتاته

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ

بالبحث في القرآن الكريم على جميع الآيات التي مرتبطة بالصيام بشكل مباشر أو غير مباشر وجدت أن يمكن تصنيفها إلى أربع مجموعات كما يلي:

- آيات مرتبطة بفرضية الصيام وكفارته
- آيات مرتبطة بالحدود في الصيام
- آيات مرتبطة أجر الصائمين والصائمات
- آيات مرتبطة بكون الصيام أحد الأدوات المستخدمة ككفارة لبعض الذنوب

سأتعرض هنا فقط لآيات المجموعة الأولى وهي الآيات المرتبطة بفرضية الصيام وكفارته وهي:

١. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [١]

٢. ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢]

٣. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ **وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ** وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٣]

أوضح الله تعالى أن الصيام جزء من شريعة سيدنا محمد ﷺ فرض كما فرض على الذين سبقوا فترة البعثة المحمدية، **وأن الغرض من الصيام أن يساعد الصائم على التقوى،** ذلك لقوله تعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [٤]

وقد فرض الصيام على مرحلتين أي بالتدريج لكي يتأهل الناس ويتعودوا على الصوم مثل تحريم الخمر كان تحريمه بالتدريج.

ففي المرحلة الأولى كان الصوم اختياري وليس اجباري - طبقا للآية رقم ١٨٤ من سورة البقرة المذكورة بعالية - ولكن بشروط وهي:

- الشخص الذي يستطيع الصيام ولكن لا يريد الصيام:
  - فعليه فدية طعام مسكين لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [٥]

---

[١] سورة البقرة ٢: أية ١٨٣
[٢] سورة البقرة ٢: أية ١٨٤
[٣] سورة البقرة ٢: أية ١٨٥
[٤] سورة البقرة ٢: أية ١٨٣
[٥] سورة البقرة ٢: أية ١٨٤

- ○ وأن يصوم خير له لقوله تعالى: ﴿**وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [٦]
- الشخص الذي لا يستطيع الصيام لأنه مريض وأنه على سفر، حيث السفر فيه مشقة، ويريد الصيام ولكن لا يستطيع فعليه:
  - ○ تعويض الأيام التي لم يصمها بعد انتهاء شهر رمضان، لقوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [٧]
  - ○ **تطوعا** فدية طعام مسكين، لقوله تعالى: ﴿**فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ**﴾ [٨]

وفي المرحلة الثانية أصبح الصوم اجباري - طبقا للآية رقم ١٨٥ من سورة البقرة المذكورة بعالية - ولكن بشروط وهي:

- أنه من شهد منا شهر رمضان وجب عليه الصوم لقوله تعالى: ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [٩]
- ومن كان مريضا أو على سفر عليه أن يصوم الأيام التي فطرها بعد انتهاء رمضان ليكمل صيام الشهر، ذلك لقوله تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ **وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ**﴾ [١٠]
- ألغى الله ﴿**فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [١١] **للشخص الذي يستطيع الصيام ولكن لا يريد الصيام لأنه الصيام أصبح إجباريا وليس اختياريا. وبالتالي الذي يستطيع الصيام ولا يصوم فقد ظلم نفسه ظلما كبيرا وله عقاب من الله، ولا كفارة له إلا الحج.**

ملحوظة:

- لم أجد آيات قرآنية تعرضت لمن لا يستطيع الصيام بصفة مستديمة لمرضه وهذا لطف ورحمة من الله تعالى بالمريض. فنجد منهم من يتطوع فدية طعام مسكين عملا بقوله تعالى: ﴿**فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ**﴾ [١٢]
- هناك خلاف بين العلماء في وجود كفارة ﴿**فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [١٣] من عدمه بالنسبة للذين قادرين على الصيام ولكن مع الشدة والحرج كالشيخ والشيخة. فبعض المحققين يروا أن معنى " يطيقون الصوم " أن الصوم على قدر طاقتهم، بأن يكونوا قادرين عليه لكن مع الشدة والحرج، فلا نسخ، لبقاء الحكم بالتخيير على من كان الصوم عليه حرجيا كالشيخ والشيخة، فيجوز لهم: إما الفدية، وإما الصوم، لكن الصوم خير لهم. ﴿**وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [١٤]. ثم نقل عن تفسير المنار نقلا عن شيخه: أنه لا تقول العرب أطاق الشيء إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث يتحمل به مشقة شديدة.

---

[٦] سورة البقرة ٢: أية ١٨٤
[٧] سورة البقرة ٢: أية ١٨٥
[٨] سورة البقرة ٢: أية ١٨٤
[٩] سورة البقرة ٢: أية ١٨٥
[١٠] سورة البقرة ٢: أية ١٨٥
[١١] سورة البقرة ٢: أية ١٨٤
[١٢] سورة البقرة ٢: أية ١٨٤
[١٣] سورة البقرة ٢: أية ١٨٤
[١٤] سورة البقرة ٢: أية ١٨٤

أميل للرأي الذى قال أن الآية ١٨٥ من سورة البقرة نسخت الآية التى قبلها، مع تطبيق ﴿**فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [١٥] كتطوع لمن يقدر على ذلك للأسباب التالية:

١- ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [١٦]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٧]، ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [١٨]، ﴿إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٩].

٢- ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا﴾ [٢٠]، أي لن يحاسبها إذا حملها فوق طاقتها، ولذلك ندعو الله جل جلاله ﴿وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [٢١].

٣- ﴿مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَأْثَمْ﴾ [٢٢].

٤- المريض مرض مزمن أغلبهم كبار السن، ومن المعلوم أن هؤلاء تكثر مصاريف علاجهم فضلا على قلة دخلهم، فلن يكلفهم الله فوق وسعهم.

---

[١٥] سورة البقرة ٢: أية ١٨٤
[١٦] سورة الشورى ٤٢: آية ١٩
[١٧] سورة يوسف ١٢: آية ١٠٠
[١٨] سورة البقرة ٢: آية ١٦٣
[١٩] سورة البقرة ٢: آية ١٤٣
[٢٠] سورة البقرة ٢: آية ٢٨٦
[٢١] سورة البقرة ٢: آية ٢٨٦
[٢٢] ٦٧٨٦ صحيح البخاري- موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية (وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية).